ودونَ بـعـادِ يـومٍ مِـنـكَ عِـنْـدي يـهـونُ الـصّـابُ أكـلاً والـمَـرارُ[1]
وَهـذا إن تَـعـذَّر مَـدّ كـفٍّ لِـتَـوديـعـي وداعٌ واخْـتِـصـارُ
وَدُمْ لـلـمـلـكِ مـا هَـبَّـتْ شِـمـالٌ ومـا غـنَّـى عـلـى الـغُـصْـنِ الـهَـزارُ

انظر ما اشتملت عليه هذه القطعة من الانسجام والسهولة والسلامة من الحشو والتكلف مع ما في ضمن النثر من التوجيه بالعلوم، فشرع بالتوجيه بعلم اصطلاح الحديث ثم النحو ثم الصرف ثم المنطق ثم المعاني والبيان، ومع هذا فَسِنُّه إذ ذاك خمسٌ وعشرون سنة، كما يفيده قوله:

أبـعـدَ الـخـمـسِ والـعـشـريـنَ يَـصْـبـو لَـعَـمْـرُ أبـيـكَ هـذا الاغْـتِـرارُ

والقطعة الأولى المشتملة على التواريخ هو أنشأها أيضاً قبل أن يستكمل ثلاثين من عمره. وله أشعار في آخر عمره أعلى من هذه القطعة المذكورة سابقاً. وقد أنشدني من ذلك كثيراً، وما أحسن قوله في بعض قصائده: [من الخفيف]

وإذا رَامـتِ الـذُبـابـةُ لِـلـشَّـمْـ ـسِ غِـطـاءً مـدَّتْ عَـلـيْـهـا جـنـاحَـا

واستمر على اتصاله بالإمام المهدي، ثم بمولانا خليفة العصر، حتى توفاه اللَّه تعالى في يوم الثلاثاء سابع شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٣ ثلاث عشرة ومائتين وألف قبل تحرير هذه الترجمة بنحو نصف سنة، فرحمه اللَّه وتجاوز عنه، فلقد كان من محاسن العصر ومفاخر الدهر، وله أولاد أكبرهم (أحمد) وهو الذي قام مقامه، وهو ماشٍ على طريقته في الكمالات. له النظم الفائق والنثر الرائق والخط الحسن والعرفان التام. وتلوه في العمر (حسين) وقد تقدَّمت ترجمته ثم (إسْمَاعيل)، و(مُحمَّد) و(قَاسِم)، وهؤلاء كلّ واحدٍ منهم على حداثة أسنانهم له شغلة بالعلم والبلاغة والنظم والنثر والكمال في فنون الأدب.

(٣١٢)

(عَليّ بن صَالح بن مُحمَّد بن أبي الرِّجال الصَّنعاني)[2]

الشاعر المجيد. من شعره: [من الكامل]

وَلَـقَـدْ أَقـولُ وَقـدْ تَـغـنَّـتْ فـي الـحِـمَـى وَرْقـاءُ ذاتُ صَـبـابـةٍ وَوُلـوعِ[3]

(١) الصاب، والمرار: نبتان شديدا المرارة.
(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٧/ ١١٠.
(٣) الورقاء: الحمامة. الصبابة: رقة الشوق وحرارته. الولوع: شدَّة التعلُّق والكلف.

والعودُ في يَدها يميلُ وإِلْفُها ... يختالُ بينَ خمائلٍ وفُروعِ[١]
والعينُ قَدْ سَفَحتْ وهَاجَ لها البُكا ... تَذكارُها لِأحبّةٍ وَرُبوعِ
أحمامةُ الأيكِ التي قَدْ هَيَّجتْ ... شَجْوَ الكئيبِ بأنَّةٍ وسُجوعِ[٢]
مَهلاً فَنَفْضُكِ للسوالفِ في الفَضَا ... أَذكَى غَضَا الأشجانِ بين ضُلوعي[٣]
فَدعي الهوى ثم اسْبَحي فَتخيَّري ... دُرّاً لِطَوْقِك منْ بحارِ دُموعي

وله أشعار كثيرة. وقد ترجم له صاحب طوق الصادح، وصاحب نسمة السحر، ولم أقف على تاريخ وفاته[٤].

(٣١٣)

(السيد عَليّ بن صَلاح بن مُحمَّد العبالي)

بالمهملة مضمومة بعدها موحدة، أصله من «الحرجة» بمهملتين مفتوحتين ثم جيم، قرية ما بين الحجاز وصعدة. وهو من أكابر العلماء، ومن جملة أنصار الإمام القَاسِم بن مُحمَّد، كان يبعثه في مهماته، ويصفه بالأوصاف الجميلة حتى قال فيه: لا أخاف على أهل اليمن وفيهم هذا يعني صاحب الترجمة. وأرسله في أول دعوته إلى القاضي العلَّامة يُوسف الحماطي ليأخذ منه البيعة، فقال القاضي: لا معرفة لي بمقدار الإمام في العلم، ولا بدّ أن أورد عليه مسائل، فقال: هات ما تريد إيراده عليه من المسائل، فذكر له مسائل مشكلة، فأجابه في الحال بجوابات ارتضاها، فقال له: أمدد يدك أبايعك فأنتَ أهلٌ للإمامة، فقال له: لا تفعل فليس علمي بالنسبة إلى علم الإمام شيئاً، فاطمأنت نفس القاضي وبايع. (ومات) في شهر رجب سنة ١٠١٩ تسع عشرة وألف بشهارة، وله أولاد أمجاد منهم: (الحُسَيْن) وهو من العلماء المبرزين، وهو الذي كمَّل شرح الشيخ لُطْف اللَّه الغياث على الكافية، وولده (الحَسَن بن عَليّ) من أكابر العلماء المُدرِّسين المفيدين، وولده (مُحمَّد بن عليّ) هو القائل: [من الرجز]

مَنْ خَالفَتْ أقوالُهُ أفعالَهُ ... تَحوَّلتْ أفعالُه أَفْعَى لَهُ
مَنْ أظهرَ السرَّ الذي في صَدْرِهِ ... لِغَيْرِهِ وَهالَهُ وَهَى لَهُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ لسانُه طوعاً لهُ ... فَتَرْكُه أقوالَهُ أَقْوَى لَهُ

(١) إِلْفُها: حَبيبُها. الخمائل: جمع الخميلة: الشجر المجتمع الكثير المُلتفُّ. الفروع: الأغصان.
(٢) السّجوع: ترداد الصوت على طريقةٍ واحدة.
(٣) الغضا: ضرب من الشجر، خشبه صلب، وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ.
(٤) في معجم المؤلفين: كان حيّاً سنة ١١١١هـ/ ١٦٩٩م.